الفصل السابع والثلاثون بعد المئة

لغات العرب

قال (الطبري) في تفسيره : « كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام »[1] . وأن ألسنتهم كانت كثيرة كثرة يُعجز عن احصائها[2] . وقد ذكر غيره مثل ذلك ، ذكر أن لغات العرب كانت متباينة ، وأن بعضها كانت بعيدة بُعداً كبيراً عن عربيتنا ، كالألسنة العربية الجنوبية ومنها الحميرية . قال (ابن جني) : « وبعد فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة بن نزار »[3] ، وقال (أبو عمرو بن العلاء) : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » . وذكر (ابن فارس) ، أن ولد (اسماعيل) ، يريد بهم العدنانية « يعربون ولد قحطان أنهم ليسوا عرباً ويحتجون عليهم بأن لسانهم الحميرية ، وأنهم يسمّون اللحية بغير اسمها مع قول الله – جل ثناؤه – في قصة من قال : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، وأنهم يسمون الذئب القلوب مع قوله : وأخاف أن يأكله الذئب ... وما أشبه ذلك»[4].

وقد عرف ذلك الكتبة (الكلاسيكيون) وغيرهم . فذكر مؤلف كتاب

---

١ تفسير الطبري (١/٩) ، (بولاق) .

٢ تفسير الطبري (١/١٥) .

٣ الخصائص (١/٣٩٢) ، « وقال أبو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » ، ابن سلام ، طبقات (٤ وما بعدها) .

٤ الصاحبي (٥٥) .

(الطواف حول البحر الأريتري) « Periplus mare Erythrae » أن سكان سواحل البحر الأحمر الذين كانـوا يقيمون بين مدينة « Leuke Kome » ، وميناء « Muza » يتكلمون بلهجـات مختلفة ولغات متباينة ، قلّ منهم من يفهمها عن الثاني ، وبعضها بعيد عن بعض بعداً كبيراً[1] . وقد عاش مؤلف هـذا الكتاب في القرن الأول للميلاد ، والساحل الذي ذكره هو ساحل الحجاز .

وأصبح اليوم من الأمور المعروفة أن أهل العربية الجنوبية كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها في تلك الأرضين ، وهي بلسان مباين لعربيتنا ، حيث تبين من دراستهـا وفحصها أنها كتبت بعربية تختلف عن عربية الشعر الجاهلي ، وبقواعد تختلف عن قواعـد هذه اللغة[2] . وهي لو قرئت على عربـي من عرب هذا اليوم ، حتى إن كان من العربية الجنوبية ، فإنه لن يفهم منها شيئاً ، لأنهـا كتبت بعربية بعيدة عن عربية هذا اليوم ، وقد ماتت تلك العربية ، بسبب تغلب عربية القرآن عليها .

كما عثر في العربية الغربية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب على نصوص معينية ولحيانية وثمودية وغيرها ، وهي مختلفة بعضها عن بعض ، ومختلفـة أيضاً عن (العربية) لغة القرآن الكريم .

ومع إدراك الرواة وعلماء اللغة وجود الخلاف في ألسنة العرب ، فإنهم لم يدوّنوا اللهجات على أنهـا لهجات مستقلة ذات طابع لغوي خاص ، لها قواعد نحويـة وصرفية ، تختلف اختلافاً متبايناً عن نحو وصرف عربية القرآن الكريم ، وإنمـا « تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام ، وأشياء أصابوها في أشعار العرب مما صحت روايته قُبيل ذلك . أما سواد ما كتبوه ، فقد شافهوا بـه العرب في بواديها وسمعوه منهم ،وهو بلا ريب من بقايا اللهجات التي كانت لعهد الجاهلية»[3].

على انهم لم يدونوا من كل ذلك إلا كفاية الحاجة القليلة في تصاريف الكلام أو ما تنهض به أدلة الاختلاف بين العلماء المتناظرين من شواهد في الغريب والنادر وفي القواعد . أما تدوين اللهجات على انها أصل من أصول اللغة ، وأما تسجيل

---

١ The Periplus of the Erythrean Sea, 24.

٢ الصفة (١٣٤) .

٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١/١٢٣ وما بعدها) .

قواعد صرف ونحو تلك اللهجات ، فهذا ما لم يحفل به أحد ، ولم يقدم عليه عالم فيما نعلم من أخبار الكتب التي وصلت الينا ، لأن أكبر غرضهم من جمع اللغة وتدوينها يرجع الى علوم القرآن والحديث ، ولغتها اللغة الفصحى ، اللغة التي تعلو على اللغات ، أما ما دونها فلغات دونها في المنزلة والفصاحة ، وألسنة شاذة غير فصيحة ، ليس من اللائق بالعالم إضاعة وقته في البحث عنهـا ، وفي التنقيب في قواعد نحوها وصرفها ، وهي فوق ذلك لغات بطون وعشائر وقبائل ومواضع ، ليس لها أتباع كثيرون ، وقد أقبلوا على استعمال عربية الاسلام ، وفي إحياء العربيات الأخرى إحياء للجاهلية [1] .

« رأينا علماء اللغة وأهل العربية قد طرحوا أمثلة اختلاف اللغات في كتبهم ، فلا قيمة لها عندهم إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عُرض كلامهم ، لأنهم لم يعتبروها اعتباراً تأريخياً ، فقد عاصروا أهلها ، واستغنوا بهـذه المعاصرة عن توريث تأريخها لمن بعدهم ، ولو ان منهـم من نصب نفسه لجمـع هذه الاختلافات وإفرادها بالتدوين بعد استقصائها من لهجات العرب ، وتمييز أنواعها بحسب المقاربة والمباعدة ، والنظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها والتي تتباعد ، وتعيين منازل كل طائفة من جزيرة العرب والرجوع مع تأريخها الى عهدها الأول الذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل أنسابها ، لخرج من ذلك علم صحيح في تأريخ اللغة وأدوار نشأتها الاجتماعية ، يُرجع اليه على تطاول الأيام وتقـادم الأزمنة ، ولكان هذا يعد أصلاً فيما يمكن أن يسمى تأريخ آداب العرب ، يفرعون منه ويحتذون مثاله في الشعر وغيره من ضروب الأدب .

ولكن القوم انصرفوا عن هذا وأمثاله لاعتقادهم أصالة اللغـة ، وانها خلقت كاملة بالوحي والتوقيف ، وان أفصح اللهجات انما هي لهجة اسماعيل عليه السلام ، وهي العربية القديمة الجيدة كما قال سيبويه »[2] .

« وعلى هذا اعتبروا لهجات العرب لعهدهم كأنها أنواع منحطة خرجت عن أصلها القرشي بما طرأ عليها من تقادم العهد وعبث التأريخ ، فلم يجيئوا ببعضها إلا شاهداً على الفصاحة الأصلية في العربية وخلوّها من التنافر والشذوذ ، وتماماً

---

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/١٢٣ وما بعدها) .
٢ الرافعي (١/١٣٣ وما بعدها) .

على الذي جمعوه من أصول العربية ، وتفصيلاً لكل شيء إلا التأريخ »[1] .

« ومع أن الرواة قد وضعوا كتباً كثيرة ومصنفات ممتعة في قبائل العرب ومنازلها وأنسابها وأسمائها واشتقاق الأسماء وألقابها ومدحها وأشعارها وفرسانها وأيامها ، ونحو ذلك مما يرجع الى التأريخ المتحدد ، فلو أنهم اعتقدوا اللغات بسبب من ذلك ولم يعرفوها بالوصف الديني الثابت الذي لا يتغير في حقيقته ، لأجروها مجرى غيرها من آثار التاريخ ، ولكن ذلك الزمن قد طُوي بأهله ، ولحق فرعه بأصله ، فبقي ذلك الخطأ التاريخي كأن صوابه من بعض التأريخ الذي هو حديثُ الغيب ! »[2] .

ويستمر (الرافعي) في حديثه هذا ، فيقول : « نقول هذا وقد قرأنا ما بين أيدينا من كتب الفهرست والتراجم والطبقات على كثرتها ، وتبيّنا ما يسرد فيها من أسماء الكتب والأصناف ، عسى أن نجد من آثار أحد الرواة أو العلماء ما يدل على وضع كتاب في تأريخ لهجات العرب وتمييز لغاتها على الوجه الذي أومأنا اليه ، أو ما عسى أن نستدل به على أنهم كانوا يعتبرون ذلك اعتباراً تأريخياً ؛ ولكنّا خرجنا منها على حساب ما دخلنا فيها : صفر في صفر ؛ ولم يزدنا تعدادُ أسماء الكتب علماً بموت هذا العلم وأنه لا كتب له ، للسبب الذي شرحناه من اعتبارهم أصالة العربية »[3] .

وفي كتاب (الفهرست) لابن النديم ، وفي المؤلفات الأخرى أسماء كتب وضعها علماء اللغة في اللغات ، من ذلك (كتاب اللغات) ليونس بن حبيب (١٨٣ هـ) من علماء العربية ، وكان أعلم الناس بتصاريف النحو[4] ، و (كتاب اللغات) لأبي زيد الأنصاري (٢١٥ هـ)[5] ، و (كتاب اللغات) للأصمعي (٢١٣ هـ)، (٢١٧ هـ)[6] ، و (كتاب اللغات) لابن دريد (٣٢١ هـ)[7] ، و (كتاب

---

١ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/١٣٤) .
٢ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/١٣٤) .
٣ الرافعي ، تأريخ آداب العرب (١/١٣٤ وما بعدها) .
٤ الفهرست (ص ٦٩) .
٥ الفهرست (٨٧) .
٦ الفهرست (٨٨) .
٧ الفهرست (٩٧) .

اللغات) لأبي عمرو الشيباني (٢١٣ هـ)[1] ، و (كتاب مجرد الغريب) على مثال العين وعلى غير ترتيبه ، « وأوله هذا كتاب ألّفه في غريب كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين » ، وهو لعلي بن الحسن ، ويكنى أبا الحسن الهنائي[2] ، و (كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات) لعمر بن شبة (٢٦٢ هـ)[3] ، الى غير ذلك من مؤلفات دونت في هذا الباب .

لكننا لا نستطيع أن نتحدث عما عالجته من موضوعات وعما ورد فيها من بحوث ، بسبب اننا لا نملك نسخاً منها ، فلا ندري إذا كانت قد وضعت في خصائص لغات العرب من نحو وصرف ومفردات ، أم أنها ألفت في الشواذ والنوادر وفي الأضداد واختلاف الألفاظ ،وما يتعاور الأبنية من الاختلاف الصرفي والنحوي،لأن كل وجه من ذلك إنما هو أثر من لغة . والأصح ، أنها لم توضع في خصائص لغات الجاهليين وفي قواعد نحوها وصرفها لضبطها ، كالذي فعلوه في دراسة عربية القرآن الكريم ، فهذا عمل كبير ، يحتاج الى استقراء وتتبع لألسنة العرب في الجاهلية وعند ظهور الإسلام ، وإنما كانت قد ألفت فيما جاء في الشعر الجاهلي وفي نوادر الأعراب وكلامهم من اختلاف وتغاير وشواذ ، مما يغاير لغة القرآن الكريم . ودليل ذلك ، أننا نرى أن المؤلفات التي نقلت من تلك الكتب في باب لغات العرب ، لم تتحدث بشيء عن أصول نحو وصرف تلك اللغات ، وإنما تحدثت عن أمور ذكرت أنها خرجت فيها على قواعد العربية الفصحى ، وشذت بها عنها ، مما يدل على أن علماء اللغة لم يوجهوا عنايتهم نحو تلك اللغات لدرسها بذاتها دراسة مستقلة ، كما فعلوا بالنسبة للعربية الفصحى وإنما أرادوا إظهار بعض مواضع خلافها مع العربية ، أو مواضع الاتفاق معها لإثبات قاعدة نحوية أو صرفية ، أو لإظهار سمو هذه العربية وعلوها على العربيات الأخرى من حيث السليقة والذوق والسلامة .

وقد بني سبب اهمالهم اللهجات الأخرى ، على اعتقادهم انها لهجات رديئة فاسدة ، وأن اللغة الفصحى هي اللغة الوحيدة التي يجب حفظ قواعدها والعناية بها ، لأنها لغة القرآن الكريم ، وأن البحث في اللهجات الأخرى يؤدي الى تثبيت

---

١ الفهرست (١٠٧) .
٢ الفهرست (١٣٠) .
٣ الفهرست (١٦٩) .

لغات فاسدة الى جانب لغة الوحي ، ولم يكن هذا عملاً مطاقاً ولا مقبولاً بالنسبة الى ذلك الوقت . ولذلك انحصر عملهم في المجال اللغوي على التوسع والتبسط في هذه اللغة التي أسموها اللغة العالية أو الفصحى ، وعلى ما تحتها من لهجات ، وما اختلفت فيه بعضها عن بعض ، وهي لهجات كانت قريبة من مواطن علماء اللغة، أما اللهجات البعيدة عنهم ، فلم تنل منهم أية رعاية أو عنايـــة ، ونجد مواضع الاختلاف مسجلة في كتب اللغات والنحو وشواهده وفي كتب النوادر والغريب ، ومجالس العلماء ، حيث كانوا يتباحثون في أمور اللغة والشعر وأيام العرب وما كان يتلذذ بسماعه الخلفاء والحكام الذين كانوا يثيبون من يستمعون اليه ، مما حمل العلماء وأهل الأخبار على تطلب الغريب والتنقـــير عن الشارد والهارب للتفوق بـــه على أصحاب الحرفة المتنافسين فيما بينهم في عرض بضاعتهم على أصحاب الحكم والمال .

وأجمل ما ذكره هنا علماء العربية من مواضع اختلاف العربيات الأخرى عن العربية المحضة في الأمور الآتية :

أحدها الإختلاف في الحركات ، نحو نَسْتعين ونِستعين بفتح النون وكسرها. فهي مفتوحة في لغة قريش ، وأسد وغيرهم يكسرها ، ونحو الحَصاد والحِصاد .

والوجه الآخر ، الإختلاف في الحركة والسكون نحو مَعَكم ومَعْكم .

ووجه آخر هـــو الإختلاف في إبدال الحروف ، نحو : أولئك وأولالِك . ومنها قولهم : أن زيداً وعنّ زيداً .

ومن ذلك : الإختلاف في الهمز والتليين نحو مستهزئون ومُسْتهزُوْن .

ومنه : الاختلاف في التقديم والتأخير ، نحو صاعقة وصاقعة .

ومنها : الإختلاف في الحذف والاثبات ، نحو استحييت واستحيت ، وصددت وأصددتُ .

ومنها : الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً مُعْتلاً ، نحو أمّا زيد ، وأيما زيد .

ومنها : الإختلاف في الإمالة والتفخيم مثـــل قضى ورمى ، فبعضهم يفخّم وبعضهم يميل .

ومنها : الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله فمنهم من يكسر الأول ، ومنهم من يضم ، نحو اشتروا الضلالة .

ومنها : الاختلاف في التذكير والتأنيث ؛ فإن من العرب من يقول : هـذه البقر ، وهذه النخل ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذا النخل .

ومنها : الاختلاف في الإدغام نحو : مهتدون ومُهَدّون .

ومنها : الاختلاف في الإعراب نحو : ما زيدٌ قائماً ، وما زيد قائم ، وإن هذين ، وإن هذان . وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب .

ومنها : الاختلاف في التحقيق والإختلاس نحو : يأمرُكم ويأمرْكم، وعُفِيَ له ، وعُفْيَ له .

ومنها : الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أُمَّهْ وهذه أمّت .

ومنها : الاختلاف في الزيادة نحو : أنظرُ ، وأنْظُورُ .

ومن الاختلاف اختلاف التضادّ ، وذلك كقول حِمير للقائم : ثب ، أي اقعد ، وثب بمعنى اقفز[1] .

ومنها الاختلاف في الكلمة ، فقد يقع فيها ثلاث لغات ، نحو : الزُّجاج ، والزَّجاج ،والزِّجاج . وقد يقع في الكلمة أربع لغات ، نحو الصِّداق ،والصَّداق، والصُّدقة ،والصَّدقة . ويكون فيها خمس لغات ، نحو:الشَّمال ،والشَّمْل ،والشَّمْأل ، والشَّيْمَل ، والشَّمَل . ويكون فيها ستُ لغات ، نحو : قُسْطاس،وقِسْطاس، وقَسْطاس ، وقسطاط ، وقِسّاط ، وقُستاط ، وقِسَّاط ، ولا يكـون أكثر من هذا[2] .

ومنها الاختلاف في صورة الجمع ، نحو أسرى وأسارى ، ومنها الاختلاف في التحقيق والاختلاس ، نحو يأمرُكم ويأمرْكم ، وعُفي وعفى له . ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثـل : هذه أمه وهذه أمت . ومنها الاختلاف في الزيادة نحو : أنظر وأنظور[3] .

وقد أشار (أبو العلاء) المعري في رسالة الغفران الى أن (عدي بن زيد) العبادي ، كان يجعـل (الجيم) (كافـاً) ، فيقول : (يا مكبور) يريد (يا مجبور) ، « وهي لغة رديئة يستعملها أهل اليمن . وجاء في بعض الأحاديث

---

١ المزهر (١/٢٥٥ وما بعدها) ، الصاحبي (٤٣ ، ٤٨ وما بعدها) .
٢ المزهر (١/٢٦٠) .
٣ الصاحبي (٥٠) ، المزهر (١/٢٥٦) .

ان الحارث بن هانىء بن أبي شمر بن جبلة الكنـدي ، استلحم يوم ساباط ، فنادى : يا حُكْر يا حُكْر ، يريد يا حجر بن عـدي الأدبر ، فعطف عليه فاستنقذه ، ويكب في موضع يجب »[1] . و(الحارث بن هانىء) من كندة ،وهو من الصحابة ، وكندة من العربية الجنوبية في الأصل[2] ، فلا يستبعد منه نطق الجيم كافاً على الطريقة المصرية في الوقت الحاضر ، إذ يقول العرب الجنوبيون (هكر) في موضع (هجر) ، ولكن (عدي بن زيد) من (تميم) ، وليست (تميم) من العربية الجنوبية ، ثم إن (المعري) ، يقول عنه : « فيقول عدي بعباديته يا مكبور لقد رزقت ما يكب أن يشغلك عن القريض »[3] ، أي : « يا مجبور لقد رزقت ما يجب أن يشغلك عن القريض » فجعل قلب الجيم كافاً من سمات لغة العباديين .

ولخص بعض العلماء الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب ، في سبعة أنحـاء لا تزيد ولا تنقص : الوجه الأول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس، وكالعهن المنفوش ، قرأها (ابن مسعود) كالصوف المنفوش . الثاني : إبدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه . الثالث : تقديم وتأخير ما في الكلمة ، نحو : سلب زيد ثوبه ، وسلب ثوب زيد . وأما في الحروف نحو : أفلم ييأس الذين ، وأفلم يايس . الرابع زيادة حرف أو نقصانه نحو : ماليه وسلطانيه ، وقَلا تَكُ في مِرْية . الخامس : اختلاف حركات البناء نحو نحسين بفتح السين وكسرها . السادس : اختلاف الأعراب نحو ما هذا بشر بالرفع . السابع : التفخيم والإمالة . وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة . والتفخيم أعلى وأشهر عنـد فصحاء العرب . فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب[4] .

وجمع (مصطفى صادق الرافعي) أنواع الاختلاف الواردة في كتب اللغـة ، فحصرها في خمسة أقسام :

---

١ رسالة الغفران (٢٠١) .

٢ الاصابة (١/٢٩٢) ، (رقم ١٥٠٢) .

٣ رسالة الغفران (١/٢٠٠) .

٤ تفسير النيسابوري (١/٢٢) ، (حاشية على تفسير الطبري . بولاق) .

١ – لغات منسوبة ملقبة .
٢ – لغات منسوبة غير ملقبة تجري في إبدال الحروف .
٣ – لغات من ذلك في تغير الحركات .
٤ – لغات غير منسوبة ولا ملقبة .
٥ – لغة أو لثغة في منطق العرب[١] .

النوع الأول :

وقد عدّه علماء اللغة من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ ، ولذلك أطلقوا على اللغات التي تمارسها : اللغات المذمومة[٢] ، من ذلك :

(الكشكشة) وهي ابدال الشين من كاف المخاطب للمؤنث خاصة ، كعليش ومنش وبش ، في عليكِ ، ومنكِ ، وبكِ ، في موضع التأنيث ، أو زيادة شين بعد الكاف المجرورة . تقول عليكش ، واليكش ، وبكش ، ومنكش ، وذلك في الوقف خاصة . ولا تقول عليكش بالنصب . وقد حكى كذا كش بالنصب . وإنما زادوا الشين بعد الكاف المجرورة لتبين كسرة الكاف فتؤكد التأنيث ، وذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقت فاحتاطوا للبيان أن أبدلوها شيناً ، فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة ، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً . وربما زادوا على الواو في الوقف شيناً حرصاً على البيان أيضاً ، فإذا وصلوا حذفوا الجميع وربما ألحقوا الشين فيه . وذكر أن (الكشكشة) في بني أسد وفي ربيعة . « وفي حديث معاوية تياسروا عن كشكشة تميم ، أي ابدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث »[٣] .

« و الكشكشة في ربيعة ومضر . يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً . فيقولون رأيتكش ومررت بكش . والكسكسة فيهم أيضاً ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها سيناً في المذكر »[٤] . وورد : « والكسكسة لغة لتميم لا لبكر ، كما

---

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١/١٣٧ وما بعدها) .
٢ الصاحبي (٥٣) ، المزهر (١/٢٢٢ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٤/٣٤٥) ، (كشش) ، الصاحبي (٥٣) ، المزهر (١/٢٢٢ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (١/٨) ، (المقصد الخامس) ، تاريخ آداب العرب (١/١٣٨) ، (لمصطفى صادق الرافعي) ، المزهر (١/٢٢١) .

زعمه ابن عباد ، وإنما لهم الكشكشة بإعجام الشين . هو إلحاقهم بكاف المؤنث سيناً عند الوقف دون الوصل . يقال : اكرمتكس ومررت بكس ، أي أكرمتك ومررت بك . ومنهم من يبدل السين من كاف الخطاب ، فيقول أبوس وأمس، أي أبوك وأمك . وبه فسر حديث معاوية رضي الله عنه تياسروا عن كسكسة بكر . وقيل : الكسكسة لهوازن »[1] . « ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف ؛ فيقول : مِنْش وعَلَيْش »[2] .

والديش بالكسر : الديك ، لغة فيه عند من يقلب الكاف شيناً ، شبه كافه بكاف المؤنث لكسرتها[3] .

وذكر (السيوطي) أن الكسكسة في ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر سيناً[4] . وذكر بعضهم ان الكشكشة في لغة تميم ، والكسكسة في لغة بكر . وذكر بعضهم أن الكسكسة لبكر لا لربيعة ومضر،وهي زيادة سين بعد كاف الخطاب في المؤنث لا في المذكر[5] .

« والوتم في لغة اليمن ، بجعل الكاف شيئاً مطلقاً . كلبيش اللهم لبيش . ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة »[6] . وقيل : « الوتم في لغة اليمن ، تجعل السين تاءً كالنات في الناس »[7] . « والشنشنة في لغة اليمن، تجعل الكاف شيناً مطلقاً كلبيش اللهم لبيش ، أي لبيك »[8] .

وقد استشهد علماء اللغة على الوتم بشعر نسبوه الى (علباء بن أرقم) هو :

يا قبح الله بني السعلات عمرو بن يربوعٍ شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

---

١ تاج العروس (٤/٢٣٤) ، (كسّ) ، الصاحبي (٥٣) .
٢ المزهر (١/٢٢١) ، (النوع الحادي عشر) .
٣ تاج العروس (٤/٣١٢) ، (الديش) .
٤ المزهر (١/٢٢١) .
٥ الرافعي (١/١٣٨) .
٦ تاج العروس (١/٨) ، (المقصد الخامس) .
٧ المزهر (١/٢٢٢) .
٨ المزهر (١/٢٢٢) .

فاستعمـــل النات بـدل الناس ، والأكيات بدل الأكياس . ولكـــن الشاعر من (بكر) لا من حمير[1] .

و « الفحفحة في لغة هذيل ، يجعلون الحاء عيناً . والوكم والوهم كلاهما في لغة بني كلب . من الأول يقولون : عليكِم وبكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة في موضع عليكم وبكم ، ومن الثاني يقولون : منهِم وعنهِم وبينهِم ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة »[2] . « وهم يكمون الكلام بكسر الكاف من يكمون ، أي يقولون السلام عليكم بكسر الكاف »[3] . ومن أمثلة الفحفحة قولهم عياة في موضع حياة ، وعلى لغتهم قرأ (ابن مسعود) عَتّى عِـين في قوله تعالى : حتى حين . فكتب اليه (عمر) إن القرآن لم ينزل على لغة هذيل ، فأقرىء الناس بلغة قريش[4] . ومن الفحفحة قولهم : العسن في الحسن ، واللعم في اللحم . وذكر ان ثقيفاً كانت تفحفح في كلامها ، فتقول عتى في موضع حتى . وقـد ورد في (تاج العروس) ، أن (الوكم) « لغة أهل الروم الآن »[5] ، ولعل هذه اللغة انما جاءتهم من (كلب) ، وهم من عرب بلاد الشأم القدماء .

« قال الفرّاء : حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلاً وثقيفـاً ، فإنهم يقولون : عتى . قال : وأنشدني بعض أهل اليمامة :

لا أضع الدلو ولا أصلّي عتى أرى جلّتهـا تولي
صوادراً مثـل قبـاب التلّ

قال أبو عبيدة : من العرب من يقول : أقم عنّي عتى آتيك ، وأتى آتيك؛ بمعنى حتى آتيك ، وهي لغة هذيل »[6] .

و (العجعجة) في قضاعة كالعنعنة في تميم . يحوّلون الياء جيماً مع العين .

---

١ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٢٣) .
٢ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، المزهر (٢٢٢/١) .
٣ تاج العروس (٦٩/٩) ، (وكم) .
٤ الفائق (١١٣/٢) .
٥ تاج العروس (٦٩/٩) ، (وكم) .
٦ الفائق (١١٤/٢) .

يقولون : هذا راعج خرج معج ، أي راعي خرج معي[1] . وقيل : « العجعجة في قضاعة . يجعلون الياء المشددة جيماً . يقولون في تميمي تميمج »[2].وكانت قضاعة إذا تكلموا غمغموا ، فلا تكاد تظهر حروفهم . وقد سمى العلماء ذلك غمغمة قضاعة[3] .

والاستنطاء ، قول أنطى بدل أعطى . « قال الجوهري : هي لغة اليمن : وقال غيره : هي لغة سعد بن بكر . والجمع بينهما أنه يجوز كونها لهما » ، وقيل : « هي لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار يجعلون للعين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء ... وهؤلاء من قبائل اليمن ، ما عدا هذيل . وقد شرفها النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى الشعبي أنه صلى الله عليه وسلم ، قال لرجل : أنطه كذا وكذا ، أي اعطه . وفي حديث آخر أن مال الله مسؤول ومنطى،أي معطى . وفي حديث الدعاء : لا مانع لما أنطيت. وفي حديث آخر : اليد المنطية خير من اليد السفلى . وفي كتابه لوائل : وأنطوا الثبجة . وفي كتابه لتميم الداري : هذا ما أنطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره . ويسمون هذا الانطاء الشريف . وهو محفوظ عند أولاده . وقرىء بها شاذاً إنّا انطيناك الكوثر »[4] .

وعرفت لغة (بهراء) بوجود (التلتلة) بها . وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون : مثل كسر تاء تعلم ، في موضع الفتح . وكسر التاء من (تكتب)[5] . وذلك انهم يكسرون أحرف المضارعة مطلقاً . « ونسب ابن فارس في فقه اللغة هذا الكسر لأسد وقيس ، إلا انه جعله عاماً في أوائل الألفاظ ، فمثل له بقوله : مثل تِعلمون وتِعلم وشِعير وبِعير »[6] .

وعرفت « القطعة في لغة طيء : وهي قطع اللفظ قبل تمامه ، فيقولون في

---

١ تاج العروس (١/٨) ، (المقصد الخامس) ، (٢/٧١) ، (عج) ، المزهر (١/٢٢٢) .
٢ تاج العروس (١/٨) ، (المقصد الخامس) ، المزهر (١/٢٢٢) .
٣ الرافعي (١/١٣٩) .
٤ تاج العروس (١٠/٣٧٢) ، (نطا) ، المزهر (١/٢٢٢) .
٥ تاج العروس (٧/٢٤١) ، (تل) .
٦ الرافعي (١/١٤٠) .

مثل يا أبا الحكم : يا أبا الحكا . وهي غير الترخيم المعروف في كتب النحو ، لأن هذا مقصور على حذف آخر الاسم المنادى ، أما القطعة فتتناول سائر أبنية الكلام »[1] .

ومن لغة تميم كسر الشين في شهيد ، وكذا كل فعيل حلقي العين سواء كان وصفاً كهذا ، واسماً جامداً كرغيف وبعير . « قال الهمداني في اعراب القرآن: أهل الحجاز وبنو أسد يقولون رحيم ورغيف وبعير بفتح أوائلهن . وقيس وربيعة وتميم يقولون : رحيم ورغيف وبعير بكسر أوائلهن . وقال السهيلي في الروض : الكسر لغة تميم في كل فعيل عين فعله همزة أو غيرها من حروف الحلق، فيكسرون أوله كرحيم وشهيد . وفي شرح الدريدية لابن خالويه : كل اسم على فعيل ثانيه حرف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين كبعير وشعير ورغيف ورحيم . وحكى الشيخ النووي في تحريره عن الليث أن قوماً من العرب يقولون ذلك وإن لم يكن عينه حرف حلق ككبير وكريم وجليل ونحوه . قلت : وهم بنو تميم كما تقدم »[2].

ومما اختلفت بـه تميم عن قريش أنها تذكر السوق والسبيل والطريق والزقاق والصراط والكلاء ، وهو سوق البصرة ، أما أهل الحجاز فذكرون الكل[3] .

ومن ميزات لهجة تميم ، أنها تنطق بالهمزة إذ وقعت في أول الكلمة عيناً . فيقولون في أسلم عسلم ويسمي العلماء ذلك (العنعنة) . « وعنعنة تميم ابدالهم العين من الهمزة . يقولون : عن موضع أن » . « قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم أن، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عيناً . يقولون أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا الى الألف . وفي حديث قيلة : تحسب عين نائمة ، وفي حديث حصين بن مشمت أخبرنا فلان عنّ فلاناً حدثه . أي أن فلاناً حدثه . قال ابن الأثير رحمه الله تعالى : كأنهم يفعلونه لبحح في أصواتهم . والعرب تقول : لأنك ولعنك ، بمعنى لعلك . قال ابن الأعرابي لعنك لبني تميم ، وبنو تيم الله بن ثعلبة يقولون رعنك . ومن

---

١ الرافعي (١/١٤٠) .

٢ تاج العروس (٢/٣٩١) ، (شهد) .

٣ تاج العروس (٦/٣٧١ ، ٣٨٧) ، (زق) ، (ساق) .

العرب من يقول رغنك بمعنى لعلك »[1] . « قال الفرّاء : العنعنة في قيس وتميم. تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً ، فيقولون في انك عنك وفي أسلم عسلم »[2] .

وذكر ان العنعنة في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم ، وقيل في لغة قضاعة أيضاً ، وفي لغة أسد ومن جاورهم ، يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً ، فيقولون في انك عنك ، وفي أسلم عسلم ، وفي أُذُن عُذن ، وفي ظننت أنك ذاهب ، ظننت عنك ذاهب[3] .

ومن مواضع الاختلاف بين لغة أهل الحجاز ، ولغة تميم ، الاختلاف في عمل ما وليس النافيتين . وتردد الكلمة بين الإدغام والفك ، وبين الإتمام والنقص ، أو بين الصحة والإعلال والإعراب والبناء ، فمثلاً أهل الحجاز يفكون المثلين من المضارع المجزوم بالسكون وأمره ، وتميم تقولها بالإدغام ، وخثعم وزبيد تنقص نون من الجارة ، فيقولون : خرجت ملبيت في قولهم : خرجت من البيت وغيرهم يتمها[4] .

و (ضللت) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع . وهذه هي اللغة الفصيحة ، وهي لغة نجد . و « ضللت تضل مثل ملت تمل ، أي بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع ، وهي لغة الحجاز والعالية . وروى كراع عن (بني تميم) كسر الضاد في الأخيرة أيضاً . قال اللحياني : وبهما قرىء قوله تعالى : قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي . الأخيرة قراءة أبي حيوة ، وقرأ يحيى بن وثاب اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد . وهي لغة تميم . قال ابن سيده: وكان يحيى بن وثاب يقرأ كل شيء في القرآن ضللت وضللنا بكسر اللام. ورجل ضال تال »[5] . و (الضلالة والتلالة)[6] .

واللخلخانية العجمة في المنطق ، وهو العجز عن ارداف الكلام بعضه ببعض . ورجل لخلخاني غير فصيح . ويعرض ذلك في لغة أعراب الشحر وعمان . كقولهم

---

١ تاج العروس (٩/٢٨٣) ، (عنن) .
٢ تاج العروس (١/٨) ، (المقصد الخامس في بيان الافصح) .
٣ المزهر (١/٢٢١) ، الصاحبي (٥٣) .
٤ محمد هاشم عطية ، الأدب العربي وتأريخه (٣٩) .
٥ تاج العروس (٧/٤١١) ، (ضلل) .
٦ تاج العروس (٧/٢٤١) ، (تل) .

في ما شاء الله مشا الله[1] . والطمطمانية تعرض في لغة حمير ، كقولهم طامِ هوا ، أي طاب الهواء[2] . « وطمطمانية حمير بالضم ما في لغتهـــا من الكلمات المنكرة ، تشبيهاً لها بكلام العجم . وفي صفة قريش ليس فيهم طمطمانية حمير ، أي الألفاظ المنكرة المشبهة بكـــلام العجم »[3] . وذكر أن الطمطمانية كانت أيضاً عند بعض عشائر طيء ، « وهي ابدال لام التعريف ميماً . فيقولون في السهم والبر والصيام: امسهم ، وامبر ، وامصيام ، وهذا ليس ابدالاً ، وإنما هي لهجة يمنيـــة ، إذ كانوا يُعرّفون بالألف والميم ، ولعل في ذلك ما يدل على صحة ما ذهب اليه النسّابون من أن طيء قبيلة يمنية »[4] . ولكن حمير لا تعرف بالألف والميم ، وانما تعرف بـ (ان) (ن) ، تضع هذه الأداة في آخر الكلمة التي يراد تعريفهـا . ولهذا ، أخطأ من ذهب الى أن هذه الطمطمانية ابـــدالاً ، أو « ليس ابدالاً ، وإنما هي لهجة يمنية ، إذ كانوا يعرفون بالألف والميم »[5] ، لما ذكرته مـــن أن التعريف يلحق في الحميرية أواخر الكلم ، ولا يكون في أولهـــا ، ويكون بالأداة (ن) (ان) ، لا بالألف واللام، كما هو الحال في عربيتنا ، وان التنكير عندهم يكون بإلحاق حرف (الميم) أواخر الألفاظ التي يراد تنكيرهـــا ، ولم يصل الى علمي أن أحداً من الباحثين عثر على نص جاهلي في العربية الجنوبية عرف بـ (ال) أداة التعريف في عربية القرآن الكريم .

ومن الشائع بين الناس ، أن الرسول قال : « ليس ممبرم صيامم فم سفر »، أي « ليس من البر الصيام في السفر »[6] ، وعندي ان هذا الحديث من الأحاديث الضعيفة أو المكذوبة ، وقد وضع ليكون شاهداً على (الطمطمانية) المذكورة ، جاءوا به شاهداً على تكلم الرسول بلسان حمير ، ولكن لسان حمير لم يكن يعرّف الغير معرف بهذه الأداة من التعريف ، وقد يكون لهجة من لهجات بعض القبائل على نحو ما نسب الى بعض عشائر طيء ، كما ذكرت ذلك قبل قليل .

---

١ تاج العروس (٢٧٧/٢) ، (لخ) ، المزهر (٢٢٣/١) .
٢ تاج العروس (٨/١) ، (المقصد الخامس) ، « طاب امهواء : أي طاب الهواء » ، المزهر (٢٢٣/١) ، (معرفة الردىء المذموم من اللغات) .
٣ تاج العروس (٣٨١/٨) ، (طم) .
٤ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي (١٢٣) .
٥ شوقي ضيف (١٢٣) .
٦ تاج العروس (٣٧/٣) ، (برر) .

ومن العرب من يجعل الكاف جيماً كالجعبة يريد الكعبة . ومنهم من يستعمل الحرف الذي بين القاف والكاف كما في لغة تميم ، والذي بين الجيم والكاف في لغة اليمن ، وإبدال الياء جيماً في الاضافة نحو غلامج ، وفي النسب نحو بصَرجّ وكوفج[1] . ومن ذلك الحرف الذي بين الباء والفاء ، مثل بور اذا اضطروا قالوا : فور[2] .

ومن النوع الثاني ، وهو الخاص بلغات منسوبة غير ملقبة عند العلماء :

إبدال (فقيم) الياء جيماً ، ولغتهم في ذلك أعم من لغة قضاعة التي مرت في النوع الأول ، لأنها غير مقيدة ، فيقولون في مُحتى وعليّ ؟ مُحتجّ وعلجّ . وحجتج في حجتى ، وبج في موضع بي . « وقال ابن فارس في فقه اللغة : إن الياء تجعل جيماً في النسب عند بني تميم ، يقولون غلامج ، أي غلامي ، وكذلك الياء المشددة تحول جيماً في النسب ، يقولون بَصرَج وكوفَج في بصريّ وكوفي . وعكس هذه اللغة في تميم — على ما نقله صاحب المخصص — وذلك انهم يقولون : صيهْرِيٌّ والصهاري ، في صهريج والصهاريج »[3] .

في لغة مازن يبدلون الميم باءً والباءَ ميماً ، فيقولون في بكر : مكر ، وفي اطمئن اطبئن ، ويقولون بااسمك ؟ مكان مااسمك ؟

وفي لغة طيء يبدلون تاء الجمع هاءً إذا وقفوا عليها ، إلحاقاً لها بتاء المفرد؛ وقد سمع من بعضهم : دفن البناه من المكرماه ، يريد : دفن البنات من المكرمات. وحكى قول بعضهم : كيف البنون والبناه ، وكيف الإخوه والأخواه ؟

وفي لغة طيء أيضاً يقلبون الياء ألفاً بعد إبدال الكسرة التي قبلها فتحة،وذلك من كل ماضٍ ثلاثي مكسور العين ، ولو كانت الكسرة عارضة كما لو كان الفعل مبنياً للمجهول ، فيقولون في رضى وهُدى : رَضا وهُدا ، بل ينطقون بها قول العرب : فرس حَظِيّة بظيّة فيقولون : حظاة بظاة ، وكذلك الناصاة، في الناصية .

ومن لغتهم أنهم يحذفون الياء من الفعل المعتل بها إذا أُكّد بالنون ، فيقولون

---

١ المزهر (١/٢٢٢ وما بعدها) .
٢ الصاحبي (٥٤) .
٣ الرافعي (١/١٤١ وما بعدها) .

في اخشَيْنَّ وارمِينّ : اخشنّ وارمنّ . وجاء في الحديث على لغتهم : « لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها ». وتنسب هذه اللغة الى فزارة أيضاً .

وورد في بعض الروايات انهم يبدلون الهمزة في بعض المواضع هاءً ، فيقولون هِنْ فعلت ، يريدون إن فعلت[1] .

وورد أن بعض (طيء) كان يقلب (العين) همزة ، فيقول : دأني بدلاً من دعني .

وفي لغة تميم أنهم يجيئون باسم المفعول من الفعل الثلاثي إذا كانت عينه ياءً على أصل الوزن بدون حذف ، فيقولون في نحو مَبْيِع : مبيوع ، ولكنهم لا يفعلون ذلك إذا كانت عين الفعل واواً إلا ما ندر ، بل يتبعون فيه لغة الحجازيين ، نحو : مقول ، ومصوغ .

وفي لغة هذيل لا يبقون ألف المقصور على حالها عند الاضافة الى ياء المتكلم ، بل يقلبونها ياءً ثم يدغمونها ، توصلاً الى كسر ما قبل الياء ، فيقولون في عصاي وهواي : عَصِيّ وهَوِيّ . ولا يفعلون ذلك إذا كانت الألف في آخر الاسم للتثنية ، كما في نحو (فَتَيَاي) ، بل يوافقون اللغات الأخرى .

وفي لغة فزارة وبعض قيس ، أنهم يقلبون الألف في الوقف ياءً ، فيقولون: الهُدَيْ وأفعيْ وحبليْ ، في مكان الهدى وأفعى وحبلى .

ومن تميم من يقلب هذه الألف واواً ، فيقول : الهُدَوْ ، وأفعو ، وحُبلَوْ. ومنهم من يقلبها همزة ، فيقول : الهُدأ وأفعأ وحُبلأ .

في لغة خثعم وزَبيد يحذفون نون (مِنْ) الجارة إذا وليها ساكن . وقد شاعت هذه اللغة في الشعر واستخفها كثير من الشعراء فتعاوروها[2] .

في لغة (بلحرث) (بلحارث) يحذفون الألف من (على) الجارة واللام الساكنة التي تليها ، فيقولون في على الأرض علأرض .

في لغة قيس وربيعة وأسد ، وأهل نجد من بني تميم ، يقصرون (أولاء) التي يشار بها للجمع ويلحقون بها (لاماً) ، فيقولون : أولالك .

---

١ الرافعي (١/١٤٢) .
٢ الرافعي (١/١٤٣ وما بعدها) .

في لغات أسماء الموصول :

بلحرث بن كعب وبعض ربيعة يحذفون نون اللذين واللتين في حالة الرفع . وتميم وقيس يثبتون هذه النون ولكنهم يشددونها ، فيقولون : اللذانّ واللتانّ ، وذلك في أحوال الإعراب الثلاث .

وطيء تقول في الـذي : ذو ، وفي التي ذات ، ولا يغيرونهما في أحوال الإعراب الثلاث رفعاً ونصباً وجراً[1] . وقد عرفت بـ (ذي) الطائية . وترد (ذ) (ذو) هذه بهذا المعنى في الصفوية واللحيانية والثمودية .

في لغة ربيعة يقفون على الاسم المنوّن بالسكون في كـل أحوال الإعراب ، فيقولون : رأيت خالدْ ، ومررت بخالدْ ، وهذا خالدْ ، وغيرهم يشاركهم إلا في النصب .

وفي لغة الأزد يبدلون التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة ،فيقولون: جاء خالدو ، ومررت بخالدي .

وفي لغة سعد يضعفون الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها إلا اذا كان هذا الحرف همزة أو كان ما قبله ساكناً ، فيقولون : هذا خالدّ ، ولا يضعفون في مثل رشأ وبكر .

في لغة بلحرث وخثعم وكنانة ، يقلبون الياء بعد الفتحة ألفاً ، فيقولون في اليك وعليك ولديه : إلاكَ ، وعلاك ، ولداه ، ومن لغتهم أيضاً إعراب المثنى بالألف مطلقاً ، رفعاً ونصباً وجراً ، وذلك لقلبهم كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً ، فيقولون : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلان ، ومررت بالرجلان .

وورد في بعض الروايات أن بني سعد بن زيد مناة ، ولخـم ومن قاربها ، يبدلون الحاء هاءً ، فيقولون في مدحته ، مدهته . وأن بني أسعد بن زيد مناة ومن وليهم يبدلون من الهاء فاءً ، فيقولون فودج في موضع هودج .

وورد أن أزد شنوءة تقول : تفكهون ، وتميم يقولون : تفكنون ، بمعنى تعجبون[2] .

وورد أن (الكلابيين) يلحقون علامة الإنكار في آخر الكلمـة ، وذلك في

---

١ الرافعي (١/١٤٤) .
٢ الرافعي (١/١٤٥ وما بعدها) .

الاستفهام إذا أنكروا أن يكون رأي المتكلم على ما ذكر في كلامه أو يكون على خلاف ما ذكر .

فإذا قلتَ : رأيت زيداً ، وأنكر السامع أن تكونَ رأيته ، قال : زيداً إنيه ! بقطع الألف وتبيين النون ، وبعضهم يقول : زيد نيه ! كأنه ينكر أن يكون رأيك على ما ذكرت[1] .

وذكر (الرافعي) الأمور التالية على النوع الثالث ، من تغيير الحركات في الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات :

هَلُمَّ في لغة أهل الحجاز تلزم حالة واحدة بمنزلة رويد ، على اختلاف ما تسند اليه مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، مذكراً أو مؤنثاً ؛ وتلزم في كل ذلك الفتح ؛ وفي لغة نجد من بني تميم تتغير بحسب الإسناد ، فيقولون : هلمَّ يا رجل ، وهلمي ، وهلما ، وهلمّوا ، وهلمُمْنَ ؛ واذا اسندت لمفرد لا يكسرونها . فلا يقولون : هَلِمَّ يا رجل ، ولكنها تكثر في لغة كعب وغنى.

وفي لغة تميم يكسرون أول فَعِيل وفَعِل إذا كان ثانيها حرفاً من حروف الحلق الستة ، فيقولون في لئيم ونحيف ورغيف وبخيل : لِئيم ، ونِحيف بكسر الأول ، ويقولون : هذا رجل لِعِبٌ ، ورجل مِحِكٌ ، كل ذلك بالكسر وغيرهم بفتحه .

في لغة خزاعة يكسرون لام الجر مطلقاً مع الظاهر والضمير ، وغيرهم يكسرها مع الظاهر ويفتحها مع الضمير غير ياء المتكلم ؛ فيقولون : المال لِكَ ولِهُ .

هاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقاً إذا وقعت بعد ياء ساكنة ، فيقولون : لَدَيْهُ وعَلَيْهُ ؛ ولغة غيرهم كسرها .

في لغة الحجازيين يحكون الاسم المعرفة في الاستفهام اذا كان علماً كما نُطق به ، فإذا قيل : جاء زيد ، ورأيت زيداً ، ومررت بزيدٍ ، يقولون : من زيدُ ؟ ومن زيداً ؟ ومن زيدٍ ؟ أما اذا كان غير علم : كجاءني الرجل ، أو كان علماً موصوفاً : كزيد الفاضل ، فلا يستفهمون إلا بالرفع ، يقولون : من الرجلُ ؟ ومن زيدٌ الفاضلُ ؟ في الأحوال الثلاث .

---

١ الرافعي (١/١٤٦ وما بعدها) .

واذا استفهموا عن النكرة المعربة ووقفوا على أداة الاستفهام ، جاءوا في السؤال بلفظة (مَن) ولكنهم في حالة الرفع يُلحقون بها واواً لمجانسة الضمة في النكرة المستفهم عنها ، ويلحقون بها ألفاً في حالة النصب ، وياءً في حالة الجر، فإذا قلتَ : جاءني رجل ، ونظرت رجلاً ، ومررت برجل ، يقولون في الاستفهام عنه : مَنُو ؟ ومَنا ؟ ومَني ؟ وكذلك يلحقون بها علامة التأنيث والتثنية والجمع . فيقولون : مَنَه ؟ في الاستفهام عن المؤنثة ، ومنان ؟ ومنين ؟ للمثنى المذكر ، ومَنَتان ؟ ومَنتين ؟ للمثنى المؤنث : ومنون ؟ ومنين ؟ للجمع المذكر ، ومنات ؟ للجمع المؤنث . وهذا كله اذا كان المستفهم واقفاً ، فإذا وصل أداة الاستفهام جردها عن العلامة ، فيقول : مَن يا فتى ؟ في كل الأحوال .

وبعض الحجازيين لا يفرق بين المفرد وغيره في الاستفهام ، فيقول : مَنو ، ومنا ، ومَني ، إفراداً وتثنية وجمعاً في التذكير والتأنيث .

وحفظ عن أهل الحجاز انهم يعاقبون أحياناً بين الواو والياء، فيجعلون احداهما مكان الأخرى ، فيقولون في الصوّاغ : الصياغ ، وقد دوّخوا الرجل وديّخوه. وسمع عن بعض أهل العالية قولهم ، لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، أي يضيرني، وسمع عن قوم قولهم : في سريع الأوبة : سريع الأيبة . ومنهم من يقول في المصايب : مصاوب ، ويقول حكوت الكلام ، أي حكيته . وأهل العالية يقولون : القصوى ، ويقول أهل نجد : القصيا .

وقد وردت أفعال ثلاثية تُحكى لامائها بالواو والياء ، مثل عزوت وعزيت ، وكنوت وكنيت . وهي قريب من مائة لفظة .

في لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم ، يسكنون المتحرك استخفافاً، فيقولون في فَخِذ ، والرّجُل ، وكَرُمَ ، وعَلِمَ : فَخْذ ، وكَرْم ، والرّجْل ، وعَلْمَ . وهذه اللغة هي في كثير من تغلب . ثم اذا تناسبت الضمتان أو الكسرتان في كلمة خففوا أيضاً ، فيقولون في العُنُق والإبِل ، العُنْق ، والإبْل .

وحكى أن في لغة أزد السراة تسكين ضمير النصب المتصل[1] .

---

١ الرافعي (١/١٥١ وما بعدها) .

ولبعض القبائل لغات في كلمات : فتميم نجد يقولون نِهرٌ ، للغدير ، وغيرهم يفتحها . والوَتر في العدد حجازية ، والوِتر بالكسر في الذَّحل : الثأر ، وتميم تكسرهما جميعاً ، وأهل العالية يفتحون في العدد فقط .

ويقال وَتِدٌ ، ووتَدٌ ، وأهل نجد يدغمونها فيقولون . وَدٌّ . وبعض الكلابيين يقولون : الدِّواء ، وغيرهم يفتحها . والعرب يقولون شُواظٌ من نار ، والكلابيون يكسرون الشين .

والحجازيون يقولون لعمري ، وتميم تقول : وعملي . واللص في لغة طيء ، وغيرهم يقول : اللِّصت[1] .

وهناك لغات في الإعراب :

فتستعمل (هذيل) (مـتى) بمعنى (مِنْ) ويجرون بها ، سمع من بعضهم قوله : أخرَجها متى كُمِّه ، أي من كُمه .

وفي لغة تميم ينصبون تمييز (كم) الخبرية مفرداً ، ولغة غيرهم وجوب جرّه وجواز افراده وجمعه ، فيقال : كم درهمٍ عندك ، وكم عبيدٍ ملكت ! وتميم يقولون : كم درهماً ، وكم عبداً !

في لغة الحجازيين ينصب الخبر بعد (ما) النافية نحو : ما هذا بشراً ، وتميم يرفعونه .

في لغة أهل العالية ينصبون الخبر بعد إن النافية ، سمع من بعضهم قولـه : إن أحدٌ خيراً من أحدٍ إلا بالعافية .

الحجازيون ينصبون خـبر ليس مطلقاً ، وبنو تميم يرفعونه إذا اقترن بإلا ، فيقول الحجازيون : ليس الطيب إلا المسكَ ، وبنو تميم : إلا المسكُ .

في لغة بني أسد يصرفون ما لا ينصرف فيما عِلّة منعه الوصفية وزيادة النون ، فيقولون : لست بسكرانٍ ، ويلحقون مؤنثه التاء ، فيقولون : سكرانة .

في لغة ربيعة وغنم يبنون (مع) الظرفية على السكون ، فيقولـون : ذهبتُ مَعْهُ ، وإذا وليها ساكن يكوسرنها للتخلص من التقاء الساكنين ، فيقولون ذهبت معِ الرجلِ .

---

١ الرافعي (١/١٥٢) .

في لغـة (بني قيس بن ثعلبة) يعربون (لَدُن) الظرفية ، وعلى لغتهم قرىء (من لدنِه علماً) ، وغيرهم يبنيها .

الحجازيون يبنون الأعلام التي على وزن فعَال : كحذام ، وقطام ، عـلى الكسر في كل حالات الإعراب ؛ وتميم تعربها ما لم يكن آخرها راءً وتمنعهـا من الصرف للعَلَميـة والعدل ، فإذا كان آخرها راء كوبار ، اسم قبيلة وظفار اسم مدينة فهم فيها كالحجازيين .

وتعرب هذيل (الذين) اسم الموصول إعراب جمع المذكر السالم ، فيقولون :

نحن الَّذون صبحوا الصّباحا يوم النخيـل غارة ملحاحـا

ومن لغة هذيل أيضاً،فتح الياء والواو في مثل بَيْضات ، وهيآت ، وعَورات، فيقولون : بَيَضات ، وهَيَآت ، وعَوَرات ، وبقية العرب على إسكانها [1] .

وذكر (الرافعي) بعض الأمثلة على المثال الرابع من قبيل : إبدالهم أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء ، كقولهم في الثعالب والأرانب والضفادع : الثعالي والأراني والضفادي . وقد يبدلون بعض الحروف ياء كقولهـم في سادس : سادي ، وفي خامس : خامي [2] .

ومن العرب من يجعل الكاف جيماً ، فيقول مثلاً : الجعبة ، في الكعبة ، وبعضهم ينطق بالتاء طاء : كأفلطني ، في أفلتني ، وهي لغة تميمية .

وتقول بعض العرب أردت عَنْ تفعل كذا ، وبعضهم يقول : لألّني ، في (لعلّني) . وفي لعل لغات يقولها بعض العرب دون بعض ، وهي : لعلّي ، ولعلني ، وعلّي ، وعلّني ، ولعنّي ، ولفني . ورَعَنَ ، ورعنّ ، وعنّ ، وأن ، ولعاء .

وورد تلعّم وتلعزم في لغة بعض الناس ، وتضيفت الشمسُ للغروب ، وتصيفت [3] .

وفي (عند) لغات ، هي : عِندي ، وعُندي ، وعَندي ، وفي لدن ثماني

---

١ الرافعي (١/١٥٣ وما بعدها) .
٢ الرافعي (١/١٥٥) .
٣ الرافعي (١/١٥٧) .

لغات ، وهي لَدُن ، ولُدُن ، ولَدَى ، ولَدُ ، ولَدْن ، ولُدْن ، ولَدْ ، ولَدَى ؛ وفي (الذي) : الذي ، واللِذ ، واللّذ ، واللذيُّ ، وفي التثنية اللذان ، واللذانَ ، واللذا ، وفي الجمع : الذين ، والذون ، والملاءون ، واللاءو ، واللائي ، — باثبات الياء في كل حال — والألى ؛ وللمؤنث اللائي ، واللاء ، واللاتي : واللتِ ، واللتْ ، واللتان ، واللتا ، واللتانِّ ، وجمع التي اللاتي ، واللات ، واللواتي ، واللوات ، واللوا ، واللاء ، واللاتِ[1] .

ومن لغـات (هو) و (هـي) : هُوْ ، وهِيْ ، وهُوَ ، وهِيّ و هُ ، هِ .

ومن لغات لاجرم : لاجرَ ، ولا ذا جرم ، ولا ذا جر ، ولا إن ذا جرم ، ولا عِنْ ذا جرم .

ومن لغات نعم ، حرف الايجاب : نَعِمْ ، ونِعِم ، ونَعَم .

وبعض العرب يبدل هاء التأنيث تاءً في الوقف ، فيقول : هذه أمت ، في أمة ، وبقرت في بقرة ، وآيت في آية[2] .

وذكر (الرافعي) ان النوع الخامس ، هو النوع الخاص باللثغة من المتكلم . كالألفاظ التي وردت بالراء والغين وبحروف أخرى[3] .

ومن مواضع الاختلاف التي ذكرها (الرافعي) ، والتي وقعت في القرآن بسبب القراءات : تحقيق الهمز وتخفيفه ، والمد والقصر ، والفتح والإمالة وما بينها ، والاظهار والادغام ، وضم الهاء وكسرها من عليهم وإليهم وإلحاق الواو فيها وفي لفظي منهُمُو وعَنهُمُو ، وإلحاق الياء في اليه وعليه وفيه ، ونحو ذلك، فكان كل أهل لحن يقرءونه بلحونهم[4] .

والتضجيع : الإمالة ، وكانت تميم وقيس وأسد تميل إلى إمالة الألف، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يُميلون ، ويظهر أن ذلك لم يكن عاماً في القبيلة الواحدة،فقد كان بعض منها يميل وبعض منها لا يميل ، وفي ذلك قول سيبويه :

---

١ الرافعي (١/١٥٧ وما بعدها) .
٢ الرافعي (١/١٥٩) .
٣ الرافعي (١/١٥٩ وما بعدها) .
٤ الرافعي (٢/٤٩) .

« اعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه ، فينصب بعضٌ ما يميل صاحبه ، ويميل بعضٌ ما ينصب صاحبه . وكذلك من كان النصب في لغته لا يوافق غيره ممن ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر (الإمالة) فإذا رأيت عربياً كذلك فلا ترينه خلط في لغته ولكن هذا من أمرهم »[1] .

وذكر (ابن فارس) ، ان من اختلاف العرب في لغاتهم ، اختلافهم « في التذكير والتأنيث ، فإن من العرب من يقول : هذه البقر ، ومنهم من يقول : هذا البقر ، وهذه النخيل ، وهذا النخيل » ، واختلافهم « في الإعراب، نحو : ما زيد قائماً ، وما زيد قائم ، وإن هذين ، وإن هذان ، وهي بالألف لغة لبني الحارث بن كعب »، واختلافهم « في صورة الجمع ، نحو أسرى وأسارى»[2]. وفي هذه اللغة فسر المفسرون الآية : « إن هذان لساحران » ، اذ قالوا إنها نزلت على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، « وهم يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف.وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث ابن كعب :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لنابـاه الشجاع لصمما[3]

ويظهر من اختلاف العلماء – الذي رأيناه – في نسبة الأمور المذكورة الى ألسنة القبائل وفي عدم اتفاقهم في كثير من الحالات في تثبيت اللغات المذكورة الى قبيلة معينة أو حصرها في قبائل وترددهم في أقوالهم ، ان ما ذكروه من اختلاف لم يكن حاصل دراسة استقرائية عميقة ، وانما هو حاصل اتصال بأفراد أو بعدد قليل من الأعراب ومن المدعين بالعلم في ألسنة العرب ، ولهذا نجد التناقض بادياً في أقوالهم ، وصارت دراساتهم المتقدمة ناقصة غير كاملة ، لا تتناول إلا أموراً جانبية لا تمس صلب اللغة ولا تنال قواعدها في الصميم . وعلى علماء اللغة في الوقت الحاضر واجب الخروج على الجادة القديمة التي يسيرون عليها اليوم في دراسة

---

١ العصر الجاهلي ، دكتور شوقي ضيف (١٢٢) .
٢ الصاحبي (٤٩ وما بعدها) .
٣ تفسير الطبري (١٣٦/١٦) .

اللغة ، بالذهاب بأنفسهم من جديد الى مواطن اللغة، للأخذ من أحجارها المكتوبة إن وجدت ومن ألسنة الأحياء الباقين ، أخذاً علمياً مقروناً بدراسات حديثة مبنية على تسجيل الأصوات ، للاستعانة بها في الكشف عن لغات العرب بأسلوب علمي حديث .

ويلاحظ أيضاً أن علماء اللغة ، قد جمعوا بعض الملاحظات التي ظهرت لهم، من دراساتهم للغة أهل الحجاز ، وللغة تميم . فسجلوها في كتب اللغة والقواعد ، وقد أشرت اليها فيما تقدم بايجاز . واذا قلت أهل الحجاز ، فلا أعني لغة قريش وحدها ، وانما لغات القبائل الحجازية ، التي تكوّن مجموعة القبائل الساكنة في الحجاز . فإن العلماء حين شرعوا بتدوين اللغة ، وجدوا ان لغة أهل مكة لم تعد صافية نقية بسبب اختلاط أهلها بالأعاجم ، وظهور الفساد على لسانهم ، لذلك ، لا نجد لهم ذكراً بارزاً عند علماء اللغة ، وانما حل محلهم مصطلح : أهل الحجاز. ويظهر ان عرب (تميم) من علماء اللغة ، ووجود عدد من عشائرها في العراق على مقربة من المصريين ، ونزول رجال منها البصرة والكوفة ، ثم اشتهار رجال من تميم بالفصاحة والبلاغة والخطابة قبل الاسلام ، كل هذه وأمور أخرى مكّنت العلماء من تسجيل ملاحظات كثيرة عن لغة تميم ، زادت بكثير عن الملاحظات التي دونتها عن القبائل الأخرى ، وقد ذكر العلماء في مقابلها ما كان يختلف فيه أهل الحجاز عنهم ، فتجمعت لدينا بذلك ملاحظات لغوية ونحوية ميزت لهجات تميم عن لهجات (أهل الحجاز) ، وبعض القبائل الأخرى . وقد دخلت هذه الفروق في قراءة القرآن ، فقرأ بعض القراء على لغة الحجازيين ، وقرأ بعض آخر الآيات نفسها على لهجة تميم . كل قرأ على لسانه وتمسك بقراءته ، وقد ساعد ذلك عدم وجود الحركات الضابطة للحروف ، ولو كانت هناك حركات في مبدأ التدوين تضم الحرف أو تكسره أو تفتحه ، لضاق نطاق هذا الاختلاف إذ كان على الناس القراءة وفقاً للمصحف المحرك المشكل الذي اتخذ إماماً لهم ، ولكن عدم وجود مصحف إمام استعمل الشكل والإعجام ، سهّل ظهور القراءات .

والخلاف بين (أهل الحجاز) (لغة أهل الحجاز) وبين (تميم) ، هو خلاف في إطار مجموعة واحدة من القبائل ، هي مجموعة (مضر) . فالقبائل الحجازية التي ذكروها هي قبائل مضرية ، و (تميم) من قبائل مضر كذلك ،

في عرف أهل الأنساب . وكان بين أهل مكة ، أي (قريشاً) وبين (تميم) اتصال وثيق قبل الاسلام ، وكانت بينهم مصاهرة . وقد عرفت (تميم) واشتهرت بالفصاحة ، ولو أخذنا برأي أهل الأخبار ، وبما ذكروه عن فصاحة (تميم) وعن كثرة وجود الخطباء والشعراء فيهم ، وعن حكومتهم في (عكاظ) ، وبما ذكروه عن (قريش) فإننا نخرج بنتيجة هي أن (تميماً) ، كانت أكثر شهرة في بضاعة الكلام من (قريش) ، وهي نتيجة تناقض زعمهم أن قريشاً كانت أصفى العرب لغة ، وأن لسانها هو اللسان العربي الفصيح الذي نزل به القرآن ، وأنها كانت تجتبي أحسن الألفاظ وأعذبها من بين سائر لغات العرب حتى صار لسانها أفصح الألسنة ، وذلك بدليل استشهاد علماء اللغة بلغة تميم من نثر وشعر في شواهدهم وأدلتهم على قواعد اللغة ، كثرة لا تقاس بها الشواهد التي استشهد بها العلماء على ضبط اللغة والقواعد ، المنتزعة من لسان قريش .

ولو استقصينا ما دوّنه علماء اللغة عن مواطن الاختلاف بين لغات العرب ، نصل الى نتيجة أخرى ، هي ان لغات كثير من القبائل تميل الى ترجيح كفة (لغة تميم) على لغة أهل الحجاز ، ففي الفتح والكسر ، كما في (الوتَر) و (الوِتر) ، نجد الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم وأسد وقيس[1] ، وقد قرأ بالقراءتين في سورة : « والفجر . وليالٍ عشرٍ . والشفع والوتر »[2] . قال (الطبري) : « واختلف القراء في قراءة قوله والوتر ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض قراء الكوفة بكسر الواو . والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان معروفتان في قراءة الأمصار ، ولغتان مشهورتان في العرب فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب »[3] . فنرى من رواية (الطبري) المذكورة أن غالبية القراء ، انما قرأت بقراءة تميم وأسد وقيس ، وان كانت القراءة الثانية التي هي بالفتح لغة مكة صحيحة .

والقبائل : (تميم) و (قيس) و (أسد) ، هي من القبائل التي أكثر علماء العربية أخذ اللغة عنها ، ونصوا على اسمها بالذات ، فقالوا : « والذين

---

١ الامالي ، للقالي (١٣/١) .

٢ سورة الفجر ، الرقم ٨٩ ، الآية ٣ .

٣ تفسير الطبري (١١٠/٣٠) .

عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم »[1] . فهي في مقدمة القبائل التي ركن اليها علماء اللغة في أخذ اللغة عنهم ، يليهم هذيل ، فكنانة ، وبعض الطائيين .

ومعنى هذا أن بناء العربية ، الذي قام به علماء اللغة ، انما أخذ معظم مادته من لغات القبائل الثلاث المذكورة ، وهي قبائل أقامت في مواضع متجاورة منذ القدم،وكانت بطونها قد توغلت في بوادي العراق في الجاهلية القريبة من الاسلام وفي الاسلام ، وفي البحرين ونجد وبعض مناطق اليمامة . فهي تكوّن جزءاً كبيراً من جزيرة العرب والعراق .

ولتجاور القبائل الثلاث المذكورة في القديم ، أثر كبير في تشابك اللغات وفي تقاربها ، لأن للجوار أثراً خطيراً في تطور اللغة ونموها . ونحن في حاجة اليوم الى وضع صورة مضبوطة لتوزع القبائل في الجاهلية في جزيرة العرب وبادية الشام على مرّ الأدوار ، لنتمكن بواسطتها من تتبع الأثر السياسي والثقافي لهذه القبائل وذلك فيما قبل الاسلام ، ومن دراسة ما ذكره علماء اللغة من فروق بين اللغات بصورة علمية دقيقة مضبوطة ، بتسجيل كل ما ذكروه واحصائه بالضبط ، ثم تطبيق ما ذكروه على مواطن هذه القبائل التي ضبطت ضبطاً صحيحاً على هذه الصورة .

ونجد في كتب اللغة والمعاجم أموراً لغوية كثيرة ، مبعثرة لم يشر اليها العلماء إلا عرضاً ، مثل قول بني أسد (يِيجع) بكسر أوله ، مع عدم قولهم (يِعلم) استثقالاً للكسرة على الياء وأمثال ذلك[2] ، مما يحتاج الى جمع وتصفية للوقوف على قديم اللغات .

وقد عرفت (بنو أسد) ببروزها في شقي الكلام : الشعر والنثر . « قال يونس بن حبيب : ليس في بني أسد إلا خطيب ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر أو رام ،

---

١ المزهر (١/٢١١) .
٢ تاج العروس (٥/٥٣٣) ، (وجع) .

أو شديد العدو »[1] . وهي قبيلة شهيرة . أرى أنها قبيلة « Asateni » المذكورة في جغرافية (بطلميوس)، بين « Iodistae » التي تقع أرضها شمال « Asateni » ، وهي (جديس) ، وقبيلة « Mnasemanes » التي تقع منازلها في شمال غربها في خريطة بطلميوس ، وبين « Laeeni » و « Thaemae » الواقعتين الى الشرق منها ، وموضع « Baeti fl. Fontes » الواقع الى الجنوب وقبيلة « Thanuitae » التي تقع منازلها جنوبي هذا الموضع ، ثم موضع « Salma » ، وهو في الخريطة موضعان : موضع يقع شمالي « Mnasaemanes » ، وموضع يقع جنوب غربي « Baeti fl. Fontes »[2] .

وأما (هذيل) ، فمواطنهم (جبال هذيل)[3] ، وهم جيران (سعد بن بكر)[4] وجيران (كنانة)[5] ، و (هوازن) ، وهي كلها من القبائل التي أثنى العلماء على لغتها . وهذيل من قبائل مضر ، ومن القبائل التي اعرقت في الشعر[6] ، وقد استشهد العلماء بشعر شعرائها في اللغة وفي القواعد ، ومن هنا عدّت في القبائل التي أخذ علماء العربية اللغة منها . وأما (سعد بن بكر) ، و (كنانة) ، و (هوازن) فهي مثل (قريش) و (هذيل) من مجموعة (خندف) من (مضر) .

وأما (بعض الطائيين) الذين أخذ عنهم علماء العربية العربيةَ ، فقد نص العلماء على أسمائهم حين استشهدوا بشعر شعرائها . وطيء ، من القبائل اليمانية في عرف النسابين . وهم من القبائل القديمة التي كان لها شأن يذكر قبل الاسلام ، بدليل أن (بني إرم) والفرس ، أطلقوا على العرب عموماً كلمة (طيايه) (طيايو) من أصل (طيء) اسم هذه القبيلة . وأن العبرانيين أطلقوا (طيعا) (ط ي ي ع ا)، (طيايا) (طياية) في مرادف (عرب) مما يدل على انها كانت أقوى قبائل العرب

---

١ البيان والتبيين (١/١٧٤) .
٢ راجع خريطة « بطلميوس » ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣/٣٧١) .
٣ بلاد العرب ، للاصفهاني (١٤ وما بعدها ، ٢٠ وما بعدها ، ٢٣ وما بعدها ، ٢٥ وما بعدها ، ٣٢) .
٤ المصدر نفسه (ص ١٣ وما بعدها) .
٥ كذلك (ص ١٩ وما بعدها ، ٢١ وما بعدها) .
٦ تاج العروس (٨/١٦٦) .

قبل الاسلام بزمن طويل[1] ، وربما كان هذا شأنهم قبل الميلاد .

ولا يفهم من أقوال علماء اللغة عن لغتهم ، انها كانت ذات صلة بالعربيات الجنوبية ، وأما ما ذكروه من (ذي) التي نعتوها بـ (ذي) الطائية ، فليس لها صلة بـ (ذ) الواردة في العربيات الجنوبية ، وانما هي سمة خاصة بلهجة (طيء) التي هي من العربية الشمالية ، أو من مجموعة عربية (ال) في اصطلاحي الذي أطلقته على العربية الشمالية ، لامتيازها بأداة التعريف هذه عن بقية اللهجات العربية التي استعملت أداة أخرى للتعريف . ولهذا فإن قبيلة (طيء) هي قبيلة عربية من القبائل المتكلمة بعربية (ال) ، وإن عدّ النسابون نسبها من الجنوب .

وما ذكرته من فروق واختلاف ، فإنما هو مما يتناول الاختلاف الكائن بين اللهجات العربية الشمالية ، وأكثره مما يتناول لهجات القبائل في عهد التدوين ، في الأيام التي ظهر فيها الوعي بوجوب تسجيل علوم اللغة وضبطها ، فكان أن أخذ علماء اللغة من الفصحاء وممن اشتهر بالعلم باللغة من الصحابة والتابعين ، كما أخذوا من الأعراب الذين كانوا يفدون على البصرة والكوفة ، وهم من قبائل مختلفة ، لكنهم على الأكثر من أعراب البوادي القريبة من العراق ، ومن القبائل الضاربة في البادية ، فقد ذهب قوم من علماء اللغة الى البادية معدن اللغة للأخذ من ألسنة أهلها مباشرة ، ولاستقراء لهجاتها للتوصل بذلك الى معرفة اللغة والقواعد . فكان من هذا الجمع ومن مراجعة القرآن والشعر والحديث ، هذا المدوّن في الكتب من علوم العربية . فهو كله إذن تدوين ظهر في الاسلام .

ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن ذهاب عـــدد كبير من العلماء الى البوادي لدراسة لهجات القبائل ، كما لا نستطيع التحدث عن الطرق والأساليب التي سلكوها في جمع اللغة وفي البحث عنها وأخذها من أفواه أصحابها ، لعدم وجـــود شيء من ذلك في الموارد الموجودة لدينا الآن . نعم لقد ذكروا أن أقدم من ذهب الى البادية : يونس بن حبيب (١٨٣ هـ) ، و (خلف الأحمر) (١٨٠) ، و(الخليل ابن أحمد) (١٧٥ هـ) ، و (أبو زيد) الأنصاري (٢١٥ هـ) ، و (الكسائي) (١٨٩ هـ) الذي ذهب الى وادي الحجاز ونجـــد وتهامة ، ورجع وقد أنفد خمس

---

١ الجزء الاول من هذا الكتاب (ص ٣١) .

عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[1] ، ولكننا لا نعرف شيئاً عن بحوثهم وعن استقراءاتهم ولا عن طرقهم التي اتبعوها في بحثهم وتنقيرهم عن اللغة ، والأغلب أنها تناولت الغريب والشعر ، ثم إننا لا نستطيع التحدث عن هذه الرحلات بشيء من الاطمئنان والثقة ، لما قد يكون في كلام رواتها من المبالغة والاضافة والافتعال بسبب العصبية الى المدينة والى العلماء .

ويلاحظ ان معظم الملاحظات المدونة عن اللغات تناولت قبائل ألف علماء العربية الأخذ عنها والاستشهاد بكلامها ، وهي قبائل يرجع النسابون نسبها على طريقتهم الى (معد) ، ويظهر من ملاحظات العلماء عن لهجاتها انها كانت تتكلم بلهجات متقاربة ، ترجع الى المجموعة التي تستعمل (ال) أداة للتعريف . أما القبائل التي رجع أهل النسب نسبها الى قحطان ، والتي استشهد بشعرها فهي : الأزد ، وحمير ، وبعض طيء ، وخثعم . أما كندة ، ومنها الشاعر (امرؤ القيس) ، فلا نجد لها ذكراً في هذه اللغات ، وإن استشهد بشعر شاعرها وبشعر غيره من شعراء هذه القبيلة ، وقد أشير الى اليمن ، ولكنهم لم يذكروا قصدهم منها ، ويظهر انهم أرادوا بهم أعراب اليمن ، وهم مهاجرون في الأصل هاجروا من باطن الجزيرة الى اليمن بعد أن ضعف الحكم فيها على أثر تدخل الحبش في شؤون اليمن وتقاتل الملوك بعضهم مع بعض ، مما أفسح المجال للأعراب بدخول العربية الجنوبية ، فكوّنوا قوة خطيرة فيها ، أشير اليها في كتابات المسند بـ (واعربهم) . (واعربهمو) كما أشرت الى ذلك في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب .

ولا تزال بعض اللهجات باقية ، تتكلم بها القبائل على سليقتها الأولى ، وآسف لأن أقول ان علماء العربية في الوقت الحاضر ، لم يوجهوا عنايتهم نحوها لدراستها قبل انقراضها وزوالها ، مع ان دراستها من الأمور الضرورية بالنسبة لهم ، لأنها تساعد في تعيين أصول العربيات وفي تثبيت المجموعات اللغوية العربية ، وقد نستنبط منها أموراً علمية كثيرة فات على علماء العربية القدامى يومئذ تسجيلها ، لأنها لا تزال باقية ، فبواسطة الطرق الحديثة في البحث يمكن العثور على ما فات على أولئك العلماء من أمور .

---

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١/٣٤٤ وما بعدها) .

وقد لاحظ (فؤاد حمزة) ، ان أهل نجد أصرح في الوقت الحاضر لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالأجانب ، وبعد أولئك عن كل تلك العوامل . ولكن أفصح اللهجات وأقربها الى الفصحى هي اللهجات اليمانية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز واليمن . وقد ذكر انهم يتكلمون الألفاظ من مخارجها الصحيحة ، ويتكلمون بما هو أقرب الى الفصيح من سواه . ويتكلم بعض البداة منهم بكلم معرب فصيح[1] .

ولاحظ أن لغات القبائل لا تزال مختلفة ، فمنهم من يقلب (الجيم) ياء فيقول: (المسيد) ، بدلاً من (المسجد) ، وهم قوم من اليمن والنمور في وادي محرم ، ومنهم من يقلب القاف والكاف (تس) ، فيقول (حكى) (حتسى)، وهم من أهل نجد ، ومنهم من يقلب (الكاف) (تش) ، فيقول : (بكى) (بتش) ، ومنهم من يقلب (القاف) (گافاً) مفخمة ، فيقول (گال) في موضع (قال) ، وهي من لغات أهل نجد ، ومنهم من يقلب (الكاف) (سيناً)، فيقول (عبيسي) ، في موضع (عبيكي) ومنهم من يقلب (القاف) (جياً) ، فيقول (العجير) في موضع (العقير) ، ومنهم من يقلب (الظاء) (لاماً)، فيقول (اللهر) في موضع (الظهر) ، ومنهم من يقلب (الضاد) (لاماً)، فيقول (الليف) في موضع (الضيف) ، ومنهم من يجعل (الياء) بين الألف والياء ، فيقول (امطاير) في موضع (مطير)[2] .

ويلاحظ أن قبائل العراق لا تزال تستعمل مثل هذه اللجهات وغيرها،فيستعمل بعضها حرف العين في موضع الهمزة ، فيقولون (سعال) في موضع (سؤال) وتستعمل بعض القبائل حرف (الياء) في موضع (الميم) ، فتقول (يومن) ، في موضع (مومن) ، أي (مؤمن) ، وغير ذلك ، وتستعمل بعضها اليـاء في موضع (الجيم) ، فتقول : (ريال) في موضع (رجّال) ، أي (رجل) .

وذكر ان أهل اليمن يستعملون (الميم) في موضع (ال) أداة التعريف ، فيقولون (أم بيت) في موضع (البيت)[3] . وقد أشير في الحديث الى هـذه

---

١ قلب جزيرة العرب (٩٩) .
٢ قلب جزيرة العرب (١٠٠) .
٣ قلب جزيرة العرب (١٠٠) .

اللغة ، ويظهر أنها لغة خاصة ، ربما كانت حاصل ادغام حرف الجر (من) في الكلمة التي دخلت عليها ، فـ (أم بيت) ، هي (من البيت) أو أنها لهجة من اللهجات التي تكلم بها أهل اليمن الشماليون ، جعلت (الميم) أداة للتعريف . لأننا نعلم – كما سبق أن ذكرت – أن حرف (الميم) أداة للتنكير في اللهجات العربية الجنوبية ، فيقال (بيّم) في موضع (بيت) ، وتلحق آخر الاسم . أما أداة التعريف فحرف (ن) يلحق آخر الكلمة كذلك ، ولا يدخل على أولها كما في (ال) ، يقال (بيّن) في موضع (البيت) ، و (ملكن) في مقابل (الملك) .

وذكر (فؤاد حمزة) أن قبيلة (فهم) ، وتقع منازلها اليوم بين بني ثقيف شمالاً والجحادلة غرباً ، تتكلم بعربيـــة قريبة جداً من العربية الفصحى ، وهي مشهورة بالفصاحة [1] .

وفي العربية الجنوبية قبائل تتكلم اليوم بلهجات يرجع نسبها الى اللهجات العربية الجنوبية القديمة ، لأن في ألفاظها وفي تراكيب جملها ، ودراستها في هذا اليوم، ضرورة لازمة لمن يريد الوقوف على تأريخ اللغة العربية قبل الإسلام. ومن الضروري كذلك وجوب دراسة اللهجـات (الشحرية) و (المهرية) و (السواحلية) و (السقطرية) ، ولهجات السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب للوقوف على تطور اللغات العربية الجنوبية ، وعلى حل رموزها التي لا تزال مغلقة غير معروفة عند علماء هذا اليوم . لما لهذه اللهجات من صلات بالعربيات المذكورة .

وأرى من الضروري دراسة اللهجات العربية الحالية في كل مكان من أمكنـــة جزيرة العرب ، ولا سيما في المواضع التي استخرج العلماء من باطنها نصوصاً مدوّنة بلهجات عربية قديمة ، مثل أعالي الحجاز لنتمكن بهذه الدراسة من حلّ معضلات تلك الكتابات ومن تكوين رأي علمي واضح عـــن تطوّر تلك اللهجات فيما قبل الاسلام .

وأرى من الضروري في هذا اليوم وجوب تأليف معجم لغوي ، يضم اللهجات العربية القديمة ، أي اللهجات الجاهلية التي وردت في النصوص الجاهلية، للوقوف عليها ، ولا سيما على اللفظ الغريب منها ، ومقارنتها بالألفاظ التي ترد في اللهجات

---

١ قلب جزيرة العرب (١٧٨) .

العربية الأخرى لإحياء ما يمكن احياؤه من الميت منها ، واستعماله في هذا اليوم ، للأشياء التي قصرت العربية الفصحى عن وضع مسميات لها،أو أن مسمياتها حوشية، لا تنسجم مع الذوق ، وادخال الألفاظ الواردة في النصوص في المعاجم الموسعة العلمية التي تؤرخ الألفـــاظ ، بأن تشير الى ورودها لأول مرة في الشعر أو في النصوص الجاهلية . كما أرى من الضروري وجوب العناية بدراسة ما ذكره العلماء عن اللهجات دراسة علمية نقدية تقوم على المقابلة والمطابقة والمقارنة باللغات الأخرى مع تسجيل قواعدها حسبما أمكن .

obeikandl.com